وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين-سطيف02 **كلية الآداب واللغات**

قسم اللغة والأدب العربي **التخصص: دراسات أدبية**

السنة: الثانية ليسانس **السداسي: الرابع**

المادة: الحداثة في الأدب العربي

المحاضرة الثامنة: قصيدة النثر

اقترن ظهور قصيدة النثر بطموح جمهور من الشعراء كانوا يصبون إلى الانقلاب على سلطان القواعد إلى عالم رحب الآماد، مترامي التخوم، مفعم بالحرية،.. إنه عالم النثر الذي وصف بأنَّه "يسير في طريق من صنعه ، وله الخيار في كل خطوة يخطوها.. ومن ثمَّ يجد تسجيل الحياة ذات الخصائص والمظاهر المتنوعة" وعليه كان النزوع إلى الحرية من البوادر الأولى لظهور قصيدة النثر، ولاسيما حين أخذ فريق من الأدباء يشعرون أنَّ الكتابة زقاق غير نافذ –على رأي رولان بارت– وبعبارة أخرى حين غدا الشعر قطاعاً فرديـاً مع الألاعيب اللفظية واتباعـاً مشوَّهًا للقواعد الأكثر فنيَّةً، لذلك فقد كان أكثر إيناسًا من الأحاديث الاعتياديَّة.

وقد تعهَّدت روح العصر، وحركة التأثر والتأثير في الآداب والفنون قصيدة النثر بالرعاية والعناية، لتسلمها إلى مواهب كبرى تأخذ على عاتقها الارتفاع بها، ولاسيما على يد الشعراء الرمزيين الفرنسيين، وعلى رأسهم الشاعر (شارل بودلير) في مجموعته (قصائد نثرية قصيرة) = Poetics Poems Prose

ويذهب أحد الدارسين إلى أنَّ (رامبو) أول من كتب قصيدة النثر، مما يجعله متقدمًا على بودلير، وهذا وهم، لأنَّ رامبو ابتدأ كتابة قصيدة النثر بعد وفاة بودلير بثلاث سنوات، أي منذ عام 1870م ، فكيف يصح أن يكون متقدمًا عليه، فضلاً عن أنَّ رامبو نفسه كان يؤكد أنَّه مفتون بقصائد بودلير النثرية. ويقترن بهذين الشاعرين شاعر فرنسي ثالث، ذلك هو (ملارامبه) الذي خطى بقصيدة النثر خطوات عريقة، فجعل من القصيدة حلقة وصل بين الشاعر والقارئ، حتى قال: "إنَّ معنى أبياتي هو ذلك الذي يعطيه لها القارئ"، وظهور هؤلاء الشعراء في فرنسا يؤكد أنَّ قصيدة النثر فرنسيَّة بامتياز، ويشهد على ذلك أنَّ التقاليد التربوية الشعريَّة الفرنسية تصر على الفصل الحاسم بين الشعر والنثر، وذلك خلاف التقاليد الشعرية في سواها من بلدان أوربا.

أما في أمريكا، فقد تبّوأ الشاعر (والت ويتمان) الصدارة بين الشعراء الذين تصدوا لكتابة القصائد النثرية، ولاسيما في ديوانه (أوراق العشب) الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1885م.

وجوبهت قصيدة النثر بالكثير من المعارضة خارج فرنسا بخاصة، وهذا ديدن كل حركة جديدة، لكنها لم تلبث أن حصلت على جواز الإقامة في مملكة الشعر، بل إنَّ التحمس لها يتصاعد يوًما بعد آخر حتى أثارت (سان جون بيرس) ليقول: "في الحقيقة أنَّ النثر الرديء هو نثر شعري، والقسم القليل من الشعر الرديء رديء لأنه نثري".

أما في الوطن العربي، فـ: يوسف الخال، أدونيس، خليل حاوي، نذير عظمة، هؤلاء هم الشعراء الأساسيون الذين شكلوا نواة تجمع شعر في البداية، والذين سينضم إليهم عدد من النقاد الشبان: كأسعد رزوق، أنسي الحاج، وخالدة سعيد، واستطاعت مجلتهم (=شعر) استقطاب: فؤاد رفقة ،ومحمد الماغوط، ومنير بشور، وشوقي أبي شقرا، وعصام محفوظ، وهم من الشعراء الشباب آنذاك.

ومنذ صدور العدد الأول لمجلة (شعر) اللبنانية، أخذت تتعهد هذا اللون الإبداعي الجديد بالرعاية والتبشير، سواء عن طريق طبع مجاميع قصائد النثر والتبشير بها، أو عن طريق ترجمة أعمال كثير من الشعراء الذين كتبوا القصائد النثرية، مثل: بودلير، ورامبو، وملارامیه، ولوتريامون، أو عن طريق تشجيع الناشئين على كتابة قصيدة النثر.

ولأمر ما لم تكن مصر شديدة الحماسة لهذا الاتجاه الشعري الجديد في أول الأمر –على الأقل – على نطاق الإبداع الشعري. أما على المستوى التنظيري فإننا نجد (غالي شكري) شديد الحماسة لقصيدة النثر، ويشهد على ذلك كتابه (شعرنا الحديث.. إلى أين ؟).

أما في العراق فقد كان المناخ مهيئ ًا -إلى حد ما- لاستقبال قصيدة النثر، ولاسيما بعد دعوات الزهاوي إلى الشعر (المرسل)، والرصافي إلى الشعر (المهموس)، وحسين مردان في ديوانه (الربيع والجوع) الذي جاء على غلافه أنَّه من النثر المركَّز، ولعلَّ آخر الدعوات هي الأكثر جرأة؛ إذ حملت صراحة على الوزن الشعري، ودعت إلى استبعاده نهائي ًا عن الشعر، ولا أدل على ذلك من قول حسين مردان عن الوزن أنَّه: "حبل قصير لا يصل إلى القعر، لذلك لا بدَّ من الاستغناء عنه والسقوط إلى الأعماق، لنفرك التراب اللزج في القاع، فتشع المعادن الكامنة في". وشكّل ظهور مجلة (شعر الكلمة) في العراق عام 1968م منبر ًا يدعو الشعراء إلى كتابة قصيدة النثر بكل حماسة مستندين إلى أن "الدعوة لكتابة قصيدة النثر تنطلق من موقف حضاري قائم على نقيض شعري يستند على النقل الميكانيكي للمنظورات والعقل... ذلك أنَّ القوى المعطَّلة داخل الإنسان لا يمكن أن تجد طريقها في الشعر إلا من خلال الصراع الشعري ذاته، وحتى هذا الصراع لا بدَّ أن يخضع لقانون القصيدة الذي هو الفني والتتابع... إنَّه اغتصاب لما هو أكثر مفاجأة، وإلغاء للعلاقات التي تربط حركة القصيدة... بهذا الوعي ينمو لإنسان التأريخ، والإنسان القيمة، داخل سلطة القصيدة". ولما كانت منابر التجديد كثيرة

ومتعددة، فقد كان الجو الأدبي في شغل شاغل عن خوض المعارك العنيفة، وهي -أعني قصيدة النثر في العراق– وإن جوبهت بالمعارضة، إلا أنَّها لم تكن كتلك المعارضة التي قوبلت بها حركة الشعر الحر.

ومن أبرز الدعاة إلى قصيدة النثر في العراق: موسى النقدي، وسركون بولص، وصلاح فائق، وسلامة كاظم، وغيرهم، وإذا ذكرت قصيدة النثر في العراق إنما تذكر مقترنة بمجلة (الكلمة) لصاحبها السيد (حميد المطبعي).